

مرايا مغبشة

ثلاث روايات انكليزية وامريكية عن العالم العربي

عن الشرق الاوسط ، تتسع قليلا من عام لعام . وفي كل سنة يتساءل المرء لماذا لم يكتب بعد احد ما رواية عن العالم العربي من وزن رواية «الطريق الى الهند» . هل كان بإمكان ا. م. فورستر ان يفعل ذلك لو انه عاش في مصر بطول المدة التي عاشها في الهند؟ ربما ؛ اذ ليس من الصعب نقل روايته اللتين تجري احداثها في ايطاليا الى لبنان . لكن ا. م. فورستر هو واحد من اولئك الناس القلائل جداً الذين يحدون الحواجز القومية (وكانت آنذاك اضمخ منها اليوم) شفافة تقريباً ؛ فقد رأى هذه الحواجز ورأى من خلالها ايضاً في آن واحد . وبقدرة خارقة فهم القلب البشري في اساسياته مثلاً فهمه في اقنمته التي يتنكر بها محلياً ووقتياً . لكن الشخصيات العربية في معظم القصص الانكليزية عن الشرق الاوسط ليسوا على مستوى واحد من الواقع مثل الاجانب . ورأي ان هناك كاتبين انكليزيين فقط نجحوا في تصوير وعرض شخصيات عربية بشكل مقنع ، من الداخل : وهما مرمودوك بكنل ودموند ستوارت .

هل العرب غامضون بنوع خاص بالنسبة الى الانكلوسكسونيين ؟ ام انهم في الواقع لا يختلفون عنهم اختلافاً كافياً ؟ ان بين الهند وانكلترا الآن اتصالاً فكرياً مزدهراً ثنائي الاتجاه ، لا مثل له بين انكلترا والعالم العربي . فلم يكتب بعض الانكليز كتباً عن الهند فحسب بل ايضاً كتب بعض الهنود كتباً جيدة عن انكلترا . بالطبع ان فرض الانكليزية كلفة قومية في الهند عامل رئيسي في قيام وتيسير هذا الاتصال الحضاري . ولكن يظل من الغريب ان العرب الذين تقابلهم على صفحات الروايات الانكليزية عن الشرق الاوسط هم نادراً ما يكونون من المعلمين ، من الاطباء او المحامين او الاساتذة الذين يتكلمون الانكليزية او الفرنسية ، وانما يكونون عادة خليطاً من السائقين وادلاء السياحة واشباههم من المختصين بالتعامل مع الاجانب ،

ان موضوع « الاستعمار الثقافي » اوسع من ان يدور ككل من جميع نواحيه . لكن من الثابت ان احدى نتائج سيطرة الغرب الاقتصادية والسياسية على جزء كبير من آسيا وافريقيا هي ان هذه المناطق التي كانت محكومة اصبحت موضوعاً للدرس عند المثقف الغربي : فاكشف اراضيها المجهولة ، ووضع لها الخرائط ، ودرس التاريخ الطبيعي لاجناسها البشرية ، وطبقات ارضها ، وسجلها ، وصورها ، وشرحها ، ووضع عنها القصص . كانت ذلك ، من ناحية ما ، نهياً اخطر من اي استغلال للمواد الاولية ، فلك لأن عملية سبر المرء لغور لذاته ولغور كونه ، عملية لا يمكن ان تعاد من جديد . ثم ان الصورة التي يكونها الاجنبي ما ان تتكون وتتحدد حتى تصبح ذات آثار ثابتة موطدة .

وصفد يكون الروائي ، كمتحدث عن المجتمعات البعيدة ، هو ابعد الناس اثرأ واقله موضعاً للثقة . لكن الانثروبولوجي او عالم الاجناس البشرية (ويبدو لي ان هذه الحظ ، ان علماء هذا الحقل قليلون جداً في الشرق الاوسط) يتقيد بقوانين الحقيقة العلمية المنظمة عمله . لكن الروائي يجول في ارض الخيال ، غير محددة بوضوح ، بين الواقع وبين الخيال ؛ الشعوب والمجتمعات هي مواده الاولية ، وفنانه يدعي لنفسه حق النظر فيها بطريقة مختلفة . ولا جدوى من اتهامه بعدم الدقة ، لأنهم بالنسبة اليه هو ان يكون خلاقاً . ومع هذا فنون الذين يقرأون القصص اكثر بكثير من الذين يقرأون تاريخ علم الاجناس تكون كلمة الروائي صاحبة الوزن في النهاية . والكتابات (خاصة تلك التي يكتبها سكسونيون منهم) رحالون بالفطرة ، يكتبون من افضل الروايات باللغة الانكليزية في هذا المجال اتخذت اطاراً لها المستعمرات او المستعمرات السابقة . انما هل يرى الافريقيون انفسهم من خلال هذه المرايا ؟

في الروايات التي تكتب باللغة الانكليزية

من يقدمون لهم الفكرة عن الشرق الاوسط التي يعتقدون انهم يحبون ان يأخذوها . مرايا تعكس على صفحاتها مرايا اخرى تعكس على صفحاتها تنكرات واقنعة .

ربما كانت درجة الاختلاف والتشابه بين الهنود وبين الانكليز الدرجة المناسبة تماماً ، التي من شأنها ان تثير الفضول وتجعل التفاهم المتبادل ، بالتالي ، ممكناً . ان الهندوسية ، وما يخاطها من تصوف غامض ، اغرب كثيراً بالنسبة للعقل الغربي من الاسلام ، الذي بين اصوله وبين اصول المسيحية صلات قرىبي والذي كان التصوف فيه حركة محدودة ومنفصلة عن مجراه العام . والاسلام يمكن ادراكه والاحاطة بتعاليمه ، اما الهند فان ظواهر روحية غريبة تنمو فيها باطراد ، تبعث في الاجنبي الشعور بانه لن يتمكن قط من « الغوص الى اعماقها » . والهند اشبه بسيرك غني للمشاهد الجانية التي لا نهاية لها ، اما العالم العربي فانه ، على ما فيه من تنوع ، ليس فيه من ينال على المسامير ، او يعلم الحكمة في الطرقات ، ولا شعوضة او تمثيل ، والتنكرات فيه قليلة ، والدجالون محصورون في النطاق التجاري .

لا يستطيع المرء مثلاً ان يتصور ان حادثة كهف اجانتا الواردة في رواية « الطريق الى الهند » يمكن ان تحدث في وسط عربي (لقد حاول ب. ه. نيوي ان يفعل شيئاً من هذا القبيل في روايته « نزهة في صقارة » ، لكن المحاولة لم تنجح تماماً في الواقع . واثار الجو العربي العام في الانسان الغربي ليس قوياً ولا هزلياً كما هو اثر الجو الهندي العام . فللهند « جو » يغلف كل شيء ويبدله ، وكأنه صباغ . اما العالم العربي فلا يفرض نفسه الى الحد نفسه على شخصية الغريب ، وقلماً يبدله بشكل اساسي ، ولا يثير فيه الاسئلة حول نفسه .

هل يوجد بين الانكليز والهنود شيء مشترك غير موجود بين الانكليز والعرب (باستثناء الاتصال السياسي الذي كان اطول واوثق) ؟ يخيّل لي ان نظام الطبقات الهندوسي ، مع انه في طريق الزوال ، لهو مما يمكن للعقل الانكليزي ان يستوعبه بسهولة . ان اساس النظام الطبقي في الهند ديني بينما هو في انكلترا روماني . اما العالم العربي فلا طبقات فيه ، لا فروقات تتخذ شكل القوالب الجامدة ،

وانما فيه تأرجح غريب - بين الايمان بالمساواة وحب السلطة ، بين الثورة والاستسلام ، بين الرأفة والاستغلال ، بين الاخاء وكره الجار ، وذلك مما يصعب جداً تصنيفه والبحث فيه . هل هذا العربي او ذاك مغرور او غير مغرور ؟ انه عادة مغرور وغير مغرور في آن واحد ، ثائر ومستبد : وهو وضع يحده الروائي متمماً لكنه يمجز عن معالجته بسهولة معالجة تقليدية . ان من السهل ان نرى ان العرب لا يشبهون الانكليز . لكن ما هو الفرق بينهم على وجه التدقيق ؟

فرق اساسي ، بالطبع ، هو ميل العرب ، وخاصة النخبة الثقافية منهم ، الى السياسة ، بينما اغلب النخبة المثقفة في انكلترا لا يعاون بالسياسة او يقفون ضدها . واسباب ذلك واضحة ، الا ان العرب يفهمونها بشكل عام اكثر مما يفهمها الشعب الانكليزي . ان المتحرر الليبرالي الانكليزي الذي يمثل عموم المتحررين في بلده معرض دائماً لاغراء تحويل مقته للعمل السياسي وللمعتقدات السياسية الى فضيلة . ولما كان معظم الكتاب الانكليزي هم ايضاً من المتحررين ، فان احجامهم عن تفحص ما هو خلف « التآلق المسرحي » (مستعيرين كلمات موريل سبارك) في عيني العربي هو على اقوى ما يمكن ان يكون عليه . ونجد في « بوابة مندلبوم » مقطوعاً له مغزاه يشد فيه البطلان (وكلامه انكليزيان) على يدي واحدهما الآخر بزوه ، لانهم اكتشفا ان كليهما « يكرهان العقائد والايديولوجيات » . اما في الكتاب الامريكي عموماً فنجد شعوراً اكثر طبعية تجاه السياسة . فادوارد شيهان مثلاً ، يتناول في روايته « ملك الوهم » السياسة بالهزل ، ولكنه لا يتساءل ام التشكيك عن ضرورتها .

ان « سر » العالم العربي و « لغزه » هو اساس نفسي وليس روحاني . انه لا يقوم برغبة في اكتشاف الله ، او الهرب من الذات ، او على عدم امكان التنبؤ برد الفعل البشري ، الفاصل غير الواضح بين الامتثال وعدم الامتثال والتعقيدات هنا ليست عميقة وكيانية مثلما هي في الهند ، بل هي سطحية وفي حركة مستمرة : يريق باهت على بحيرة مضطربة ، اكثر منها رق

شطرنج ذات ابعاد ثلاثة . هذا ولا شك ان نسبة معينة من الجمود مفيدة للروائي مثلما هي مفيدة للصور الفوتوغرافي .

ولا يمكن للرواية ان تكون ولا ان تنجح قبل ان يكون هناك شيء من الاهتمام بالصفات الشخصية ، ولا يمكن للصفات الشخصية الفردية ان تتمايز في المجتمعات التي يغلب عليها الشعور الجماعي . لقد ترك افول الطبقات في الهند في القرن العشرين فراغا اتاح للصفات الشخصية بان تنبت ، في حين ان البنيان القاعدي الشامل لا يزال يؤمن بمجموعة من القوالب التي قد تتناسب الصفات الشخصية معها وقد لا تتناسب . اما في العالم العربي ، من الجهة الاخرى ، فان السوء يجد شعورا قويا بالحرية الشخصية ، بدون وجود شعور بالهوية الشخصية . ومتطلبات العائلة والجماعة مسيطرة الى حد يكاد يمنع نمو الشخصية المعقدة . واكثر من ذلك : ثمة عجز عن تحييس الشخصية ، وعن القدرة على وصفها ، سواء في النطاق المادي او النفسي . حينما يسأل انسان ما عربيا : « صف لي فلانا » ، يكون الجواب عادة مهمل وعاذيا وغير واف . فانه يبدو وكأن معظم العرب لا ينظرون فعلا الى بعضهم البعض - بل انهم لا يهتمون ببعضهم بعضا تحت قناع التبويات العامة : « جذاب » ، « غير جذاب » ؛ « ذكي » ، « غاف » ؛ « صديق » ، « عدو » .

ثم فيما كانت متطلبات القرابة في العالم العربي (الابناء والابناء والاخوة والاقرباء الاقربون) تتجاهل بحيث تضطر نفسية الفرد الى اتخاذ موقف دفاعي يقوم على التحسس بوجودها هي كقوة خارجية لدرجة انه ينمى عن امكان معرفة شخصياتهم . واقتدار هذا الادب الى المسرح والرواية الحديثة . فان معظم العرب تحسسا شديدا لذاتيتهم ولا يستطيعون ان يتخيلوا انفسهم في افكار الآخرين . وتغلب علاقاتهم مع الآخرين الى انهم لا يشكلون متميزة حاسمة : الحماية ، الموالاة ، المحبة ، وما الى ذلك ، وتبقى المناطق المجهولة غير مكتشفة . وهذا كله ان المجتمع العربي هو ، من الجهة

مؤسسات ، وهو من الجهة الاخرى علاقات متقاربة بين شخصيات ليست متماثلة تماما ولا تدرك وحشتها بمجرد انها لا تترك لوحدها ابدا ، بالمعنى المادي المحسوس .

واذا كان المعنى العربي للشخصية مائما اكثر مما هو ثابت ، فانه اقرب الى الحقيقة النفسية من المفهوم الغربي التقليدي . لكن الشخصية كانت دائما هي العمود الفقري للرواية الانكليزية ، ومن الصعب وضع رواية تقليدية بدونها . وما يحتاج العرب الى خلقه هو نوع جديد من الرواية تنعكس فيه ذواتهم ومجتمعهم بشكل ادهف وادق مما تنعكس به في عين الغريب ، حتى اكثر الغرباء قدرة على الملاحظة .

اعتقد انه من الحري بالملاحظة انه من بين الكتّاب الثلاثة الذين اراجع مؤلفاتهم في هذا المقال ، انما هو الكاتب الامريكاني (ادوارد شيهان) الذي يفهم العقلية العربية تفهما اكثر طبيعية من تفهم زميله . انه ليس « خيرا بشؤون الشرق الاوسط » (والله الحمد) ، مع انه يبدو عليه انه التقط اكواما من المعلومات - عن الدين والبدو والعبادات الدبلوماسية واساليب موظفي الحكومات . بل ان اكوام المعلومات هذه تزيد احيانا عن اللزوم . لكن اجمل ما فيه انه لا يحتاج لان يبذل جهدا كبيرا ليصور العرب ككائنات بشرية ، بشرية جدا ، متممة ، محبة . لكن ان ندع ادوارد شيهان لا يعني ان نخط من قدر دزموند ستيفارت ، وهو الكاتب الافضل جدا والاكثر خبرة ، الذي اسهم في شرح العرب للغرب الانكليزي اللسان اكثر مما فعل اي آخر (ربما باستثناء ارسكن تشلدرز) . « ملكة الوهم » (تشابمان وهول ، لندن ، ١٩٦٥) رواية اولى ، كتاب للشباب ، وهي ممثلة بهضامة الشباب وبراعته ، وبالشخصيات الغريبة الاطوار ، وبالمواقف الهزلية . انها شبه بكتابات ايفلن وو الاولى ، بدون القسوة التي في هذه (: حينما يجد الدكتور بانترتي ، « مدير دائرة التفاهم المتبادل » في السفارة الامريكية ، ان احد مرؤوسيه قرأ بالخطأ برقية سرية ووقعها بالاحرف الاولى من اسمه ، يرسل اليه المذكرة التالية : « لم يكن من المقصود ان ترى البرقية المرفقة .

الرجاء ان تشطب توقيعك وان توقع على
الشطب») .

و «ملكة الوهم» طريفة جدا في تناولها
للدبلوماسية الاميركية - وسيستمع القراء العرب
بطلالة السخرية النقدية اللاذعة ، المغلفة بستار
رقيق ، من روبرت ميرفي وجون فوستر ضلس
(الذي كان يحلم بوضع « حزام عفة من القواعد ،
ينطق العالم » !) . والامريكيون « الطيبون »
هم السفير ، شوني فترزغبون ، ومساعداه الشاب
كريستوفر غرندون . يحب كلاهما الخضراء
(الدولة العربية الوهمية التي يشير العنوان لها)
وينتهي كلاهما بالنفي عنها . وبطل القصة غير
المنازع هو مصطفى بن مبروك ، رئيس وزراء
الخضراء ، الصبي البدوي الذكي الذي ذهب الى
كلية سند هرسن الحربية ونمت فيه رغبة قوية في
تحويل شبيهه ليصبح مثل الانكليز .
ان مصطفى ، الديناميكي البارع الذي يستشهد
بتليان وسيزار بورجيا ، والذي يهوى اللعبة
السياسية ولكنه يتعشق بلاده ويؤمن بضرورة
وضعها في مستوى العصر ، انما هو صورة ناجحة
كل النجاح (ومثالية قليلا) لنوع جديد من
انواع الزعيم العربي .

وتدل الاوصاف التي يصور المؤلف بها العرب
على سعة معرفته ووفرة ملاحظاته : فهو يصور
جماهير تهتف بحماس لخطاب معاد للامريكيين
وتفصح الطريق بادب لتسمح للسفير الامريكي
بالمرور ؛ ويصف الحكومة : « كان الخبراء المتقدمون
في السن خريجين من اكسفورد عموما ، اما الصغار
فكانوا خريجين من هارفرد عادة ... ممن يلبسون
البذلات والنظارات الامريكية ويحملون شنطات
الاوراق الجلدية » ؛ ويقول عن مستشار مالي
قديم : « كان رئيسا لحكومة الخضراء مدة عشرين
سنة تقريبا ، خدم الملوك والفاشين ، والمستعمرين
وكارهي الاجانب ؛ قوّد للباب العالي وكان عميلا
للبريطانيين ... يستطيع ان يدير اقتصاديات
الخضراء للمخبطة بهارة لا يحلم اي خريج عربي من
هارفرد بان يضاهيه فيها » .

واضح ان «ملكة الوهم» ليست رواية «جدية»
عن الشرق الاوسط ، واني اشك في ان يوافق

عرب كثيرون على الصورة التي يعكسها ادوارد
شيهان لهم في مرآته . وهناك على الاقل عربي واحد
اعرفه امتنع من تلاعب شيهان بالاسماء العربية
(« وادي مافيش » ، مثلا) واعتبر الكتاب
تافها . لكنني لا اجد في «ملكة الوهم» اية
اساءة - بفضل ما فيه من تسلية ومتمعة يقدمها
للقارئ . وينبغي الانسيء فهم عدم اتسامه بالجدية
الواضحة : فهو من صنف ثانوي من الرواية
الانكليزية ، صنف له معاملته الخاصة ، ويعود في
تاريخه الى سويقت ، ويختلط فيه المضحك مع
الجدى ، والطغولي مع البالغ ، بطريقة لا اظن ان
لها شبيها في الادب العربي .

رواية دزموند ستوارت الاخيرة «الفسيفساء
الدائرية» (تشابان وهول ، لندن ، ١٩٦٥)
هي اول رواية لا لا يكون العالم العربي موضوعها
الرئيسي - اذ ان الكثير من احداثها يجري في
انكلترا واسكتلندا وايرلندا . والشخصيات
العربية ، مع انها مصورة تصويرا جيدا ، قليلة .
ولاول مرة ايضا يتخلى السيد ستوارت عن المشهد
المعاصر ويكتب عنه فترة اقدم ؛ وموضوعه عائلة
اسكتلندية ، هي عائلة لوماكس ، تأتي للاقامة في
مصر في ما بين سقوط الخرطوم والحرب العالمية
الاولى . وعلى عكس معظم البريطانيين في روايات
دزموند ستوارت السابقة ، نجد ان اندرو
لوماكس استعماري « طيب » ، فهو مهندس يحلم
بتعمير الصحراء ويضحي باستمرار بمستقبله (ملكا
يحز في نفس زوجته) من اجل تحقيق هذا الحلم .
عصمت بك هو افضل صديق لعائلة لوماكس في
مصر ، وهو ابن باشا تركي وام عربية . وهو
ثوري ووطني ، وقد تلقى دراساته في الخارج ؛ وقد
فرضت عليه الاقامة الجبرية في الفيوم بسبب آرائه
السياسية الخطرة . ويوم حادثة دنشوي يطرح
اندرو لوماكس صهره من البيت لانه اهان عصمت .
بعد ذاك ينخرط الصديقان واسرتهما في مشروع
تعمير قطعة من الصحراء الليبية . لكن عصمت
سرعان ما يمل العزلة ويتولاه الحنين لمقاهي القاهرة .
بما ان «الفسيفساء الدائرية» هي الحلقة الاولى
من ثلاثية ، يستحيل ان نعرف ما هو على التدقيق

تعلق السيد ستيوارت على الاستعمار . لكنه في هذه الرواية ، على عكس سابقتها ، يبدو أكثر اهتماما بالجانب الاوربي منه بالجانب العربي . هناك مستعمّر آخر ، هو اللورد لوشمويديارت ، يقتل الفران البيض بختفها بقدميه الحافيتين ، وينغمس في تهنك وشذوذ فاضح . فكلا الجيد والردى يصوران في الكتاب ، بما فيهما من تعقيدات وملايسات .

هذا حتما هو احسن الكتب الثلاثة التي اتولى مراجعتها في هذا المقال . وهو ، من حيث الاملوب ، اثر في رائع ، مع ان القراء العرب قد لا يستسيغون تركيب العبارات اللاتيني المكثف ، الذي يبدو احيانا كالصطنع والمكلف وان كان يأتي الكاتب بصورة طبيعية عفوية . والحوار مهضوم ولاذع ، والشخصيات مصورة بمهارة . ان « الفيسفاه الدائرية » عودة الكاتب الى اصوله . ويبدو ان زفي العودة اكتشافات مثمرة مثلما في الاقلاع .

موريل سبارك هي مؤلفة « العزّاب » و « تذكر الموت » و « مقبيل الآنسة جين بريدي » ، وهي واحدة من اشهر خمسة او ستة مؤلفين في انكلترا في السنوات الاخيرة . و « بوابة مندلبوم » لها كميلا ، لندن ، ١٩٦٥) هي اطول رواياتها وأكثرها تقليدية . وكأني بالناشر قد دعاها للغذاء قال لها : « اسمعي يا موريل ، يجب ان تكون حياتك الجديدة اطول من العادة ، حتى يشعر القراء انهم حصلوا ما على يستأله من الكتاب . كن الرواية اقل شطارة واقل تعقيدا . فان يكرهون ان يشعروا انك تسخرين منهم ! » ففكّن روايات موريل سبارك السابقة كتيبة ؛ غير انها كانت شخصية واصيلة لحد كبير . فريدة من نوعها ، في انها جمعت بين خصائص فريدة : مداعبة للمواضيع الخطيرة (الموت ، الحياة ، التزوير ، الخ) ؛ واهتمام بالعزوية الجنس ، وخاصة بطريقة معالجة العازبات للجنس ؛ وشاعرية حساسة بما في الكلام العادي من ايقاع وفارقات ؛ وحب للشواذ والغرائب .

تصل « بوابة مندلبوم » تجربة « العشور » في بلد اجني (وهو ايضا موضوع

« الطريق الى الهند ») . تجيء معلة انكليزية كاثوليكية (نصف يهودية ، من جهة امها) الى فلسطين المحتلة لزيارة الاماكن المقدسة ولحاولة رؤية حبيبها ، وهو عالم آثار يعمل بالحفريات في الاردن . وتصر على الذهاب الى الاردن ، بالرغم من جميع النصائح لها بالا تفعل ذلك ، ويرافقها رجل انكليزي من السفارة وقتاة عربية اسمها سوزي . وهناك « ولول مرة شعرت بوحدة في شخصيتها : يهودية امية ، كاثوليكية صميعة لا منتمة ، مغامرة خجولة » . ويختبر زميلها الانكليزي فريدي الشعور نفسه : « استعاد عنصرا مفقودا او منسيا في طبيعته واصبح الآن ، اخيرا ، ينهل من معين نط غير معقول كانت هي (برباره) تنهل منه ايضا » .

اكتشاف الذات موضوع متعم ، لكن موريل سبارك تسيء معالجته لانها تسمح لشغفها بالنواحي المثيرة بان تتغلب على اهتمامها بحجج برباره فون . وقبل ان ينتصف الكتاب تتحول « بوابة مندلبوم » الى قصة جاسوسية سخيفة ، يكون لبعض موظفي السفارة البريطانية فيها اتصالات مع « خلايا » ناصرية ، وبالتدريج يتذكر فريدي ، المصاب بفقدان الذاكرة بسبب ضربة شمس ، كيف كان يشاهد رسائل توضع في شجرة قرب البحر الميت . غير ان في قلب الكتاب فراغا ، لان الحجج ، الذي هو العنصر الحاسم في القضية ، لا يؤدي الا الى تجربة ثانوية . فلم يتبدل شيء بالفعل . انه ليس الا فترة من اللواقع بالنسبة الى برباره وفريدي ، مثلما هي معظم الرحلات السياحية عادة .

ما ميلا حظه القارئ العربي « لبوابة مندلبوم » بمجرد ان يبدأ بطالعتها هو ضعف معرفة المؤلفه للحقائق العربية . فالفقرات التي تظهر من حين الى آخر لتكون الخلفية السياسية للرواية ساذجة الى اقصى حد - من النوع الذي لا ينحو من الملامة عليه الا النساء الجميلات جدا . والعرب الذين تتحدث عنهم هم عموما اولئك الذين يراهم السواح عادة : الشحاذون والاطفال الجياع وباعة الاغراض السياحية والادلاء السياحيون والمتسكعون . ان احد المشاهد (في فلسطين المحتلة) يعبر عن نظرتها الى الامور من زاوية سياحية : « صرخت امرأة من

اللاعقائليون ، العرب المتسكعون ، العرب المهبون ، العرب الذين لهم اصدقاء يهود ويتخذون لهم عشاقا ، العرب الذين يثورون على آباءهم وعلى القومية العربية وعلى الرئيس عبد الناصر ! فهناك خط عام من الشعور المعادي للجمهورية العربية المتحدة يخترق الكتاب كله ، ويبدو احيانا وكأنه نتيجة تعرض المؤلف تعرضا شديدا للاحداث التي تدور في حفلات كوكتيل نساء السفارة البريطانية . فالنظرة الدعاوية الشائعة ضد العرب ، بانهم «عدائيون» و «عاطفيون» ، تتردد في الكتاب ويتقبلها الكتاب من اوله لآخره .

هذا الكتاب في الواقع مثل على كيف يسهم سوء الفهم لمكان غريب ، في اقامة حس مزور باهوية والشخصية . فشعور برباره فون بانكليزيتها في الاردن هو وهم مثلها هو المشهد نفسه . غير ان جمهور القراء البريطانيين سيحبون ذلك كله . ان « بوابة مندلبوم » ، بشكل عام ، مثال بارز على « الاستعمار الثقافي » : على استغلال المؤلف للمادة الغريبة بدون تفحص كافٍ وبدون اعتبار للحقيقة .

روزمري صاينغ

الداخل ، ثم ولولت ، وخرجت اخيرا الى الساحة تنشج بصوت مرتفع . كانت فتاة عربية تلبس فستانا غربي النمط ، ضيقا وقصيرا ، مشعثا . وكانت امرأتان اخريان تسندانها . وكان فستانها ممزقا عند الكتفين . لا بد انها كانت قد تعرضت لمعاملة قاسية . ان السائح لا يعرف ان المرأة العربية تمزق ثيابها عند وفاة امرى عزيز عليها . بل ان الانسة سبارك تخطيء في امور بسيطة ، كالاسماء : فهي تطلق اسم عبد الرمذز على احد اشخاص الرواية - وهو فتى منحرف جذاب - وهو واخته المتحررة سوزي هما الشخصيتان العربيتان الرئيسيتان ؛ وهما يديران وكالة سفر غربية معقدة تتولى ايضا اعمال التجسس والتهريب بين الاردن واسرائيل ؛ ويقوم ابوها جو ببعض اعمال التشهير على هامش عمله في وكالة السفر . ومع ان الانسة سبارك لا تحبه (فهو ناصري) فانها تحب سوزي وعبد كثيرا ، وتتعمد ان تسمح لجاذبيتها ان تسيطر تقريبا على برباره وفريدي . لكن يبدو ان المؤلف انما ابتدعتها لتبرهن على نظرية : هي ان العرب الطيبين الوحيدين هم العرب

ثلاث مسرحيات

« الفتى الشجاع » ، بقلم نعيم عطية . مطبعة الجبلادي ، القاهرة ، ١٩٦٥

« سيماء ونطة » ، بقلم نعمان عاشور . سلسلة المسرحية ، القاهرة ، ١٩٦٥

« المحروسة » ، بقلم سعد الدين وهبه . الدار القومية ، القاهرة ، ١٩٦٥

لنا عن اتجاهه هو في هذه التجربة ، موحيا اليها انه اتخذ لنفسه اسلوبا متميزا خاصا به ، وانه هو الآخر اختار له طريقا صعبا ورفض ان يقلد . ولعله يقصد بالطريق الصعب صعوبة ان يكون لك اسلوب متفرد ذو سمات وملامح خاصة ، ان تكون لك شخصية مستقلة . واذا كان المؤلف يحمي لصديقه اختياره الطريق الصعب ورفضه التقليد ، فاننا لاشك نحمده له هو ، نحن الآخرون ، هذا الاتجاه في حد ذاته : فهو اتجاه نحو تكوين شخصية ، ربما تكون منطلقا نحو اكتشاف شخصية مسرحنا .

الدكتور نعيم عطية واحد من القلائل الذين يساهمون في تنمية الحقل المسرحي في مصر ، بالدراسات النقدية والابحاث والمقدمات الإضافية والمترجمات الامينة والبرامج الاداعية الحافلة . وها نحن نراه يرغب الآن في منح الحقل المسرحي مزيدا من نفثات روحه ، فيعطيه قطعة من ذات نفسه تكون ايدانا لنا بان نقاشه بشأنها باعتباره مؤلفا لا ناقدا . يهدي المؤلف مسرحيته الى صديقه شوقي عبد الحكيم « الذي اختار الطريق الصعب ورفض ان يقلد » - اي انه بطريقة غير مباشرة يكشف